

(٦)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ
تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ)

صدق الله العظيم

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

العارف بالله

لمولانا

فضيلة الشيخ / ماهر إسماعيل جاهين

رحمه الله ورضي عنه

وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء

الدرس السادس

المعاني التي دار حولها الدرس

(١) المسلمون في تغيير المنكر أمام أمور ثلاثة (١) تغييره باليد

(٢) باللسان ، (٣) بالقلب .

(٢) صور تغيير المنكر ، وأمثلة لها .

(٣) هناك نوعان من المنكر : أ - منكر الشرع ،

ب - منكر العرف ، وبيان معني منكر العرف ، وكيف

أصبح عند الناس أكثر اهتماماً من منكر الشرع ؟ .

(٤) السبب في عدم قيامنا بتغيير المنكر ، وبعدنا عن الأمر

بالمعروف هو عدم معرفتنا للمعروف يقينا ، وعدم معرفتنا

للمنكر يقيناً .

(٥) مما أضاع المسلمين في عباداتهم اشتغالهم بالأمر

الممثل في التكاليف الشرعية من صلاة وصيام وزكاة

وحج . وعدم اشتغالهم بالأمر وهو الله ، وما التكاليف

إلا وسيلة وليست غاية (أقم الصلاة لذكري) .

(٦) المسلمون جميعاً مكلفون بالأمر بالمعروف ، والنهي عن

المنكر . فتغييره ليس مقصوداً علي فئة من الناس بدليل

الحديث الشريف : (**من رأى منكم**) بشرط أن يكون
الآمر بالمعروف فقيهاً وحكيماً .

(٧) مراحل السلوك و الطريق إلى الله طويل . و هذا
يقتضي من المسلم أن يكون يقظاً ، فلا يميل ولا يتعد عن
الحق قيد شعرة . و على المسلم أن يحذر الشيطان
ووساوسه ، و النفس وهواجسها .

(٨) عوام المؤمنين يعيشون في جو الهداية لحظات خاطفة
أما أهل المعرفة بالله فقلوبهم دائماً مع الحق ، فهم
يعيشون في جو الآخرة . فحياتهم شهود ومراقبة .
وأرواحهم ساجدة تحت العرش .

(٩) من هم العلماء الذين **تَعْنِيهِم** الآية الكريمة (**إنما يخشى**
الله من عباده العلماء) ؟

الدرس السادس

(الأمر بالمعروف) و (النهي عن المنكر)
قال الله تعالى في محكم التنزيل (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ
تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) صدق الله العظيم .
وقال المعصوم سيد الخلق ، سيدنا رسول الله صلي الله عليه
وسلم ما معناه : (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ،
فمن لم يستطع فبلسانه ، فمن لم يستطع فبقلبه ،
وذلك أضعف الإيمان) .

من الذي يغير المنكر ؟ هل الخطاب لكل الناس ؟ أم الذين
لهم إمكانيات التغيير ؟

الناس أمام أمور ثلاثة . تغيير المنكر باليد . وهذا يختص
بالحاكم الذي أقامه الله علي المسلمين ليقم فيهم حكمه عز
وجل . ويأخذ حكم الحاكم الأب في ولده في الطور الذي يباح
فيه الضرب بدليل الحديث الشريف حيث قال عليه أفضل
الصلوات ، وأجل التسليمات ما معناه : (كلكم راع ،
وكلكم مسئول عن رعيتيه) .

وحيثما قلنا في الطور فليس بمعقول أن يجوز هذا في حق الابن
إذا كبر ويلحق بالابن الزوجة .

أما بالنسبة للابن فمقتضى الحكمة ، و مضمونها ، لاعب
ولذلك سبعاً ، واضربه سبعاً ، وصاحبه سبعاً .

أما الزوجة : فمن هي التي تُضْرَب ؟ هي الزوجة الناشز
المتمردة . بل ليست كل زوجة تضرب . فربما كانت متمردة
، لكن أسلوب الضرب يجعلها تتمرد أكثر ، و تصبح عصيية
أشد ، فليس الضرب علي الإطلاق . ولنا هنا وقفة ، أي
ضرب هذا الذي يعنيه الإسلام ويقصده ؟ و نقول مرة أخرى
يعنيه الإسلام لا ما يفرضه الهوى ؟ وتدفعه شهوة الانتقام
والتمرد و التشفي .

أتدري أخانا القارئ ما الضرب الذي يعنيه الإسلام ؟ إنه
الضرب بعصي صغيرة في حجم قلم الكتابة ، والسواك الذي
نستاك به ، أقل شئ يشعر بالغضب ، ويستجلب الرحمة ،
والعودة إلى الحق .

ثم يقول الشيخ (رحمه الله) أقل شئ لفاعل المنكر إلا أصابعه ،
لكننا أحيانا كما نشاهد أننا نحبي فاعل المنكر ، ونعظمه أكثر من

غيره ، وأحياناً لا يغير المنكر ولا يعترض عليه الأب مع ابنه ،
حيث تغلب عليه عاطفة الأبوة فلا يقيم لوقوع المنكر وزناً •
ومثال تغيير المنكر • مسلم صلى وقَصَّرَ في صلاته ، فأداها
على وجه السرعة ، ولم يحسن ركوعها وسجودها . واجب
أخيه المسلم الذي رآه أن يقف محاذياً له . ثم يصلي أمامه . ولا
حرج عليه أن يتكلف في صلاته ، كي يؤديها أمامه مُتَقَنَةً ،
مستوفاة الركوع والسجود . بهذا يكون قد غير المنكر •
من تغيير المنكر قطع المعونة عن فاعل المنكر ، ومعنى التغيير أننا
نأتي بضده •

من تغيير المنكر أحد المسلمين لم يسلم عليك . تغيير المنكر
يقتضيك أن تبدأه بالمصافحة والسلام • من تغيير المنكر •
مرضت فلم يَعِدْكَ أخوك المسلم أصبح واجباً عليك أن تزوره
وهو مريض •

بهذا نستطيع أن نغير المنكر • لأن الله أعطي لكل مسلم
إمكانات يمكنه بها أن يغير المنكر •

أما نحن الآن • فلقد ابتعدنا عن تعاليم ديننا الحنيف حيث
قابلنا المقاطعة بمقاطعة مثلاً ، والجفاء بجفاء مثله حتى وصل

الأمر إلى الأحران ، فإذا لم يستطع أحد المسلمين أن يقدم لأخيه واجب العزاء فإن الإنسان يفرح إذا ما نزل بأخيه المقصر موت لأحد أقربائه فإنه يمتنع عن مشاطرته انتقاماً منه ، حتى يشعره بالتقصير السابق ، وربما كان التقصير عن المشاطرة لعذر نزل به . لكننا لا نلتفت إلى مثل هذا ، ولا نقدر الأعذار .

وهنا فسر الشيخ رحمه الله بأن تغيير المنكر باليد لعامة المسلمين يتمثل في الامتناع عن المصافحة باليد ، أما التعبير عن تغيير المنكر باللسان فأمر ميسور لكل المسلمين .

وعلي المسلم ألا يعظم عاصياً ، لأن تعظيمه للعاصي مخالف لأمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ولذلك وضحت الآية الشريفة ما ميز الله به المؤمنين فقال : (وَحَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ) .

وكان التعبير بكلمة الكفر والفسوق والعصيان لبيان الحق أن الصفة مذمومة متى وجدت ، حتى لو وجدت في ابن الإنسان نفسه ، أو أبيه ، أو أخيه . وهؤلاء أقرب الناس إليه ولذلك

قرأنا وسمعنا أن الابن المسلم كان يكره أباه الكافر أو أمه الكافرة أيام الرسول صلي الله عليه وسلم ، ولا نعجب إذا سمعنا أن أحداً من الصحابة استأذن الرسول صلي الله عليه وسلم في قتل والده الكافر حينما التقيا في حرب !

انظروا إخواني كيف بلغ الأمر إلي هذا الحد من الإنكار للكفر وكيف تغفل حب الإيمان في قلوب الصحابة ، وسرت العقيدة تجري في عروقهم جريان الدم في الجسم . ثم ضرب الشيخ مثلاً لاختلال الموازين عندنا في هذه الأيام فقال : لو تقدم لخطبة ابنتك أحد من الشباب الأثرياء ولكنه لا يُصَلِّي - هل ترفضه حتى يصلي ويصبح مسلماً مؤدياً للفريضة ؟ ومن المعلوم أن تارك الصلاة يأخذ أحياناً حكم الكافر لو أقيم شرع الله . وهو يأخذ حكم الكافر ، لأنه لا يرفع له عمل إلي السماء ، ولو ملأ الأرض حسنات مثله مثل الكافر تماماً .

ثم وجه أحد المستمعين سؤالاً فقال : سمعت حديثاً عن سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم ما معناه (**من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فإنه لا يشم رائحة الجنة**) فأجاب

الشيخ بأننا لو أخذنا بظاهر الأحاديث لخرجنا جميعاً عن دائرة الخط : إذاً فلا بد لنا من تأويل لهذه الأحاديث .

ولما سمع الصحابة هذا الحديث : قالوا يا رسول الله : أن أحدنا يحب أن يكون لباسه جميلاً . فقال الرسول عليه الصلاة والسلام : (إن الله جميل يحب الجمال إنما الكبر بطر الحق ، وغمز الناس) بمعنى أن يحتقر المسلم غيره ، ويتصوره دونه . والكثرة الكثيرة فيها الكبر ، لكنه لا يظهر إلا في الوقت المناسب . لكننا الآن نظهر أننا جميعاً متواضعون .

لكن لو اعتدى أحد على أي إنسان لكان رده عليه أبشع رد ، وربما وصفة بالحيوانية . وهذا التعبير إن دل على شيء فإنما يدل على الكبر الذي يعيش داخله ثم دعا وقال : اللهم ارزقنا الإيمان ، وجنبنا الكفر .

ثم عاود الشيخ تكملة الحديث حيث قال : فمن لم يستطع فبقليه . وهذا أضعف الإيمان - لأن القلب بيت الرب ، وهو محل الاتصال بالله ، وما دام المسلم قد عجز عن تغيير المنكر بيده ولسانه ، فلم يبق ثمة طريق لتغيير المنكر إلا بالقلب .

ثم قال لو بصق رئيس في وجه أحد مرءوسيه أترى المرءوس يتقبل هذا الوضع وتمضى الأمور دون ثورة أو احتجاج ؟ إن أقل رد على الرئيس يكون احتجاجاً باللسان ونكراناً بالقلب . إذا كان الإنسان يثور لنفسه هذه الثورة فكيف به لا يغضب لانتهاك حرمة الله عز وجل .

إذا غضب المسلم لله فهو مؤمن بدليل الآية الكريمة (حَبَّأَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ) .

ونحن نصدد بيان الكراهية للكفر لا بد أن نبين حكماً هاما من أحكام الشريعة الإسلامية . وهو أن المداراة جائزة في الإسلام : ومعنى المداراة : أن يكره المسلم الكافر بقلبه . ولكنه يظهر له البشاشة في وجهة ومما يدلنا على هذا أن منافقاً استأذن للدخول على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فرئي الغضب في وجه الرسول عليه الصلاة والسلام ، وعندما دخل بش الرسول عليه الصلاة والسلام في وجهة . فلما سئل عليه الصلاة والسلام عن هذا قال الحديث ما معناه (إِنَّا نَبَشِّرُ فِيهِ وَجْوه قوم ، وقلوبنا تلعنهم)

وهذه هي المداراة : أما المداهنة فهي عكس ذلك • ومعنى هذا أن يبش في وجهة وقلبه مرتاح لهذا الفاسق أو الكافر • وما دفعة هذا إلا لأنه يبتغي من ورائه نفعاً ومصلحة ، والمداهنة مذمومة شرعاً •

وكان التغير بالقلب أضعف الإيمان ، لأن هذا في استطاعة كل مسلم ماذا يفعل المسلم إذا رأى المنكر ولم يتغير قلبه ؟ لا بد للعودة إلى خالقة كي يمن عليه بقلب حيّ يسعد بالإيمان ، وينمو باليقين •

إذا امتلأ القلب بالإيمان فإن المؤمن يمضي في إنكار المنكر وهو لا يخشى في الله لومة لائم لأنه وضع الله قلبه : ثم وضع الشيخ لنا أن الناس يغضبون لمنكر العرف أكثر من غضبهم لمنكر الشرع ، ونحن بدورنا كان هذا الاصطلاح جديداً علينا بمعنى أننا لا نعرف شيئاً عن منكر العرف • ولكي نوضح منكر العرف لا بد أن نعرض الأمثلة التي تصور منكر العرف : ومعنى منكر العرف : ما تعارف عليه الناس ، واصطلح عليه المجتمع • أحياناً يعتبر أنها أمور ذوقية نقيس بها تصرفات الفرد • فمن حافظ عليها كان جديراً بالاحترام ، ومن خالفها سقط في

أعين الناس • ومثال منكر العرف ذهبت مجموعة من الأصدقاء
لزيارة صديق • فرحب بهم واستقبلهم في الحجرة المعدة
لاستقبال الضيوف ، وفي أثناء الجلسة ظل صديق منهم يبصق
على السجاد المفروش داخل الحجرة • والجميع ينظر إليه ،
ولكنه لم يأبه بأحد .

هذه المشاعر التي لمسناها ممن خالف العرف هل مرت
بسهولة ويسر ؟ أم تركت طابعاً سيئاً ، واشتزازاً من هؤلاء
الناس ، ولهذا الصنف من الناس الذي فقد مقومات
أدبيته • مثال ثان :

لو نظرنا في الجانب الآخر إلى جلسة ضمت أصدقاء جلسوا
يتحدثون ويتسامرون ، وتعرضوا للخوض في أعراض الناس ،
وتباري الموجودون في تقديم القصص والأمثال التي صادفتهم ،
وكلما ساق أحدهم قصة أو تناول حديثاً يصور حياة شخص
ساعده الحاضرون بإعجابهم بحديثه • وانتهت جلستهم وهم
أسعد الناس بهذا الحديث الذي مر عليهم بسرعة البرق
الخاطف .

مثال ثالث لمنكر العرف لو رأى أحد الناس شخصا ما واقفاً مع امرأة تأكد أنها أجنبية عنه برؤيته له سقط من عينه علماً بأن النظر إلى الأجنبية صغيرة إذا لم يتبعها غيرها . ولكن الناس يسارعون إلى إنكار منكر العرف أما المرتشي . أما من يسب الدين في الشارع لا نجد من ينكر هذا لأن منكر الشرع لا نجد من يتصدى له .

الغيبة التي تعودنا عليها تشكل أمراً خطيراً في حياتنا ، لأن الغيبة مركبة من ثلاثة أمور أولاً أن الذي يغتاب شخصاً يشعر أن المغتاب أقل منه - ثانياً المغتاب بغيبته لأخيه المسلم يركي نفسه . والله يقول (فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى) .
ثالثاً : المغتاب عبدٌ تمرد على أمر خالقة فلم يُبال ولم تُسيطر على قلبه بشاعة تصوير المغتاب في الآية الكريمة : (أَيْحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ) الآية .

حدثوني حضراتكم ، وتعالوا معنا لنضع منكر العرف في كفة ومنكر الشرع في كفة لننظر أية كفة سترجح ؟ وأي أسيتكا سيكون أشد ؟ لا شك أن كفة منكر العرف ستكون الكفة الراجحة : أما منكر الشرع فلا نجد من يلتفت إليه ولذلك قال

الشيخ رحمة الله : عدم معرفتنا للمعروف يقيناً ، وعدم معرفتنا
للمنكر يقيناً هو الذي يحول بيننا ، وبين أداء واجبنا في هذا

المضمار •

وهنا وجه أحد الحاضرين سؤالاً كيف نرتفع بأنفسنا حتى يُصبح
منكر الشرع عندنا هو الأساس وهو المطلوب مع أننا نعمل ؟
أجاب الشيخ رحمة الله حقاً نحن نعمل فنحن نصلي ونصوم
ونزكي ولكننا مشغولون بالأمر عن الأمر (ومعنى أننا مشغولون
بالأمر عن الأمر أن المولى عز وجل حينما طالبنا بالصلاة كان
إشتغالنا بالصلاة التي هي الأمر عن الأمر الذي هو الله جل
جلالة ، ولذلك جاءت الآية الكريمة لتحديد الهدف من
الصلاة • (**وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي**) وعليه ليس الهدف
الصلاة ذاتها ، ولكن الغاية الحقة هي أن نذكر الله فيها •
فالحق يقول في فاتحة الكتاب • (**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**)
اشتغلنا نحن بالعبادة ، ونَسِينَا المعبود •

وإذا لم تكن العبادة عبادة تكون النتيجة أننا نتردد من الله بُعداً ،
وتصبح العبادة ذاتها حجاباً بينك وبين الله ، والمسلم المخلص
إذا أخلص لله في عبادته فإنه يرى ثمرة ذلك في حدود عام ،

ولذلك قال الرسول عليه الصلاة والسلام ما معناه (ذاق طعم
الإيمان مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
صلى الله عليه وسلم نَبِيًّا وَرَسُولًا) .

أولا :- الرضا بالله كَرَبْتُ غيرُ موجود إلا بنسبة ضعيفة بدليل
لو مَلَكْنَا إنساناً ووكلنا إليه قيادة مدينة كمنوف ماذا كان
سيفعل ؟ كان سيعزل هذا ، وسيهدم هذا الحي ، وسيقرب
أقواماً ، وسيبعد آخرين ، سيفعل كل ما يتراءى له معنى هذا
أن هذه التصرفات ستحكم عليه بأنه غير راض بقضاء الله .

ثم قال : علينا يا أخوه أن ندرك أن الرضا بالله مداه طويل جداً
لأن الرضا بالله : الرضا بكل أسمائه الحسنی ، ولذلك سئل سيدنا
عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه متى يكون المسلم راضياً عن
ربه ؟ فأجاب رضي الله عنه وأرضاه (أن تجد السرور في
مواطن القضاء) لكن انظروا إلينا في أعمالنا الدنيوية : أنا أشكو
مثلاً من ألم في أسناني فأذهب إلى الطبيب فيخلع ضرسي ،
ثم أعطه الأجر ، وأخيراً أشكره وأتركه وأنصرف عنه وأنا
راضٍ كلَّ الرضا .

لهل أنا رضيت عن ربي ولو بمثل نسبة رضاي عن الطبيب
أظن ذلك بعيداً . الرضا بالله أن تتحمل المראה في سبيل
رضاه . وإيماننا كمسلمين بأسماء الله الحسنى يجعلنا نعتقد أنه
لا يكون من الله إلا الخير ولن يرضى المؤمن إلا إذا التقى مع
مراد الله ، ومعنى هذا أنه ينظر إلى أن ما نزل به هو الذي
سَيُوصَلُهُ إلى مرضاة ربه ، وتوضيح ذلك لو نزلت بالمؤمن مصيبة
سيعلم أن الله فعل هذا ليقربه إليه ، وليشدّه إلى ساحته وما دام
المؤمن سيتيقن زيادة رصيده في الآخرة ستهون عليه الدنيا ، لأن
ما أعدّه الله له من نعيم في الآخرة لا مقارنة مطلقاً بينة وبين
الدنيا . (**وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى**)

ولنعلم أن الله سبحانه وتعالى أنعم علينا بنموذج كامل للإيمان
وهو سيد الخلق صلى الله عليه وسلم وعلينا أن نتأمل كلمة
التوحيد فإن لها شقين . الشق الأول (**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**) وهذه
تشارك فيها جميع الديانات . الشق الثاني (**مُحَمَّدٌ رَسُولُ**
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بالنسبة لي لأنه مرسل إلى **وَمَبْعُوثٌ**
إِلَى : (**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ**
حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) .

(مِنْ أَنْفُسِكُمْ) من نفس جنسكم (عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ)
أعطى لرسوله صلى الله عليه وسلم وصفاً ليربطنا به ثم خلع
عليه الحق صفتين من صفاته سبحانه (رَوْوْفٌ رَحِيمٌ) هذا ولم
يخلع الوصفين لأحدٍ غيره .

فرسالته عليه الصلاة والسلام من مصلحتنا لأنه جاء إلينا لينقذنا
من الضلال إلى الهدى ، ومن المعصية إلى الطاعة ، ومن النار
إلى الجنة . وللشيطان هنا مدخل ، لأنه سيحول بيننا وبين
الإيمان به كرسول على الكيفية التي بعثه الله بها ، وهذه
مشكلة . بل هي السبب في نقص ديننا . والرسول عليه أفضل
الصلوات وأجل تسليمات الله يقول في الحديث ما معناه
(أَحِبُّوا اللَّهَ لِمَا يَغْزُوكُمْ بِهِ مِنَ النِّعَمِ ، وَأَحِبُّونِي لِحُبِّ
اللَّهِ لِي) .

والرسول عليه الصلاة والسلام له وجهتان . الوجهة الأولى أن
يَتَلَقَّى الْوَحْيَ عن الله كرسول . والوجهة الثانية بالنسبة لنا
وهي أن يُبَلِّغَنَا عن ربنا ما كُفِّ بتبليغه .

ثم عاد الشيخ ليكرر معنى سابق (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مَنَكْرًا
فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ) هذا للحاكم الذي ينفذ أوامر الله . إذا كان

هناك تنفيذ لشريعة الله - بدليل ما كان عليه المسلمون
الأولون من الذي كان موكلاً بإقامة الحدود أيام الرسول صلى
الله عليه وسلم : لا شك أنه الرسول عليه الصلاة والسلام .
فهو الذي أقامه ربه على هذا .

فحينما زنت امرأة في عهده صلى الله عليه وسلم جاءت
إلى من ؟ جاءت إلى الرسول عليه صلوات الله وأزكي
تسليماته . فقررها الرسول صلى الله عليه وسلم ليتأكد من
ارتكاب الجريمة ولما تأكد عليه الصلاة والسلام من وجوب
الحد عليها وعلم بحملها . قال لها عليه السلام : أذهبي حتى
تضعي حملك . فوضعت حملها ثم جاءت إليه صلى الله عليه
وسلم قال لها : اذهبي حتى تطفميه . ثم ماذا كان من أمرها
بعد هذا ؟ هل هربت واختفت وتخاذلت عن إقامة الحد عليها ؟
لا والله . بل حضرت ومعهما وليدها بعد فطامة نعم إنها
حضرت لتطهر بإقامة الحد عليها .

إن التأمل لهذه القصة يقف مبهوراً خاشعاً لهول هذا
المشهد . لم تنس المؤمنة جريمة ما ارتكبت في حق ربها ، وفي

خروجها عن شريعته ، وعن منهج الله الذي وضعة لعباده ،
لتسعد البشرية كلها .

لقد جاءت المرأة نعم أنها جاءت لتقدم نفسها لعدالة
السماء • حتى إذا ما انتقلت من هذه الدنيا • انتقلت وهي
تأمل كثيراً في عفو الله •

لا عجب أيها الأخوة • إنها تربت في المدرسة المحمدية ، فهي
حينما تتقدم لإقامة الحد عليها لأنها وثقت في أمر السماء •
ولأنها قد استقر في قلبها أن هذا هو الجزاء العادل ولذلك
لما رُجِمَتْ وَأَصَابَتْ قَطْرَةٌ دِمٍّ مِنْهَا ثَوَّبَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ ، وقال
في حقها كَلِمَةً أمام الحاضرين ما إن سمعها سيد الخلق الذي
لا ينطق عن الهوى • صلوات ربي وسلامه عليه حتى قل في
حقها ما أخرج الألسنة (إنها تابت توبة لَوْ وُزَّعَتْ عَلَى
أهل المدينة لَوَسَّعَتْهُمْ) •

بالعظمة هذا الدين !! يا لَسَمَاحَةِ السَّمَاءِ ! صَدَقْتَ يَا رَبِّي فَقَدْ
قلت وقولك الحق : (إِنْ اللَّهُ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ • وَيَغْفِرُ
مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) وجاء حديثه صلى الله عليه وسلم : لُبَّيْنِ
عظمة الله وعفوه في أرض الواقع •

وليعود بمن معه من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .
إلى صفات الجمال: العفو ، الكريم ، الرحيم ، الغفور ...
جَلَّ جَلَالُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ: إن قصة كهذه تربي أُمَّه لِمَا تَحْمِلُهُ
من مَعَانٍ تَرَبَّى عليها الجيل الأول جيل مدرسة الصحابة رضوان
الله عليهم أجمعين . ولا عجب في هذا لأنهم أخذوا إيمانهم
وعقيدتهم من السراج المنير صلى الله عليه وسلم . دون
واسطة . فصلوات ربي وسلامه عليك يا مُعَلِّمَ الْبَشَرِيَّةِ .
يا مُنْقِذَهَا من وَهْدَةِ الْكُفْرِ والضلال يا من أخرجت هذه الأمة
من الظلمات إلى النور . سلاماً عليك يا حبيب الله في الدنيا
سلاماً عليك يا حبيب الله في الآخرة . سلاماً عليك يا من
شرح الله صدرك . سلاماً عليك يا من رفع الحق ذكرك .
سلاماً عليك في الأولين . سلاماً عليك في الآخرين . سلاماً
عليك في الملام الأعلی إلى يوم الدين .

ثم بين الشيخ رحمة الله أن الأب في بيته يأخذ حكم الحاكم
في الرِّعْيَةِ بدليل الحديث الشريف (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ
رَعِيَّتِهِ فَالرَّجُلُ فِي بَيْتِهِ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ . .) الحديث
ثم قال ونحن لا نقوم بتغيير المنكر ، لأننا لم نَصِلْ حقيقة

في نفوسنا إلى ما هو المنكر ولو أَحَسَّسْنَا به وأَحَسَّتْ به قلوبُنَا
لَبَادَرْنَا إلى تغييره ۞ لَأَنَّ قُلُوبَنَا أَنْكَرْتَهُ ۞ ثم عاد ليؤكد من
جديد أن كل الناس متفقون على منكر العرف ۞ لكن منكر
الشرع لا تبالي به الكثرة الكثيرة من الناس ، فإنكارنا لمنكر
الشرع لأننا نعلم أن الله حرم هذا مثلاً ، لكنه لم يصل إلى
درجة العقيدة ، لأنه لو وصل إلى درجة العقيدة لنفر منه القلب
وأبغضه تلقائياً عند حدوثه ۞

ولما قال الرسول عليه الصلاة والسلام : (**من رأى منكماً**
منكراً فليغيره) هذا حكم عام وإلزام لكل من رأى هذا
ولم يقف تغيير المنكر عند فئة من الناس وحدهم بمعنى أنهم
هم المكلفون ، وغيرهم يسقط عنهم التكليف : كلا : بدليل
الحديث الشريف ۞

وضرب رحمة الله مثلاً لمنكر الشرع فقال : لو امتنعت زوجتك
عن الصلاة ۞ لو ناديتها وقلت لها أنا عقدت عليك
بالإيمان فإذا لم تُصَلِّ فأنت كافرة ، وحينئذ سأضطر إلى فسخ
العقد ۞ قال الشيخ حينئذ ستضطر إلى الصلاة ، ولو أدت
الصلاة ، أمام زوجها من غير وُضوءٍ حَرَصاً على حياتها ۞

لكفي أنا الزوج أُصلي ومستوى صلاتي لم يصل بعد إلى الدرجة المطلوبة والمقبولة التي تجعلني أحس بالمنكر وذلك لأني كما قلت لم تبلغ صلاتي درجة القبول التي أمرنا بها الشارع الحكيم .

ولتسمحوا لي أن أقول إن الصلاة التي يؤديها البعض منا صلاة قريبة إلى الفساد وعدم القبول منها إلى الإيمان ، لأننا حينما نُؤدِّيها نُؤدِّيها وهي خالية من كل معنى يقربنا إلى الله تبارك وتعالى : ودليلاً على هذا قول الرسول عليه الصلاة والسلام للرجل المسيء في صلاته . (أَرَجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ) رغم أنه صلى أمامه .

ولما خلقتني الله بشراً أرسل إلى بشراً رسولاً لآخذه قدوتي ، ولأسلك الطريق الذي سلكه كي أصل بهذا إلى مرضاة ربِّي وخالقي .

وانظروا إخواني إلى التوحيد كيف أنه لا نهاية له . لأن الكافر يقول عند دخوله الإسلام (لا إله إلا الله) والرسول عليه صلوات الله وأزكى تسليماته يقول : (افضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله) والله جل علاه يقول :

(فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) وهذا التوحيد يقتضي أنه لا يدخل بينك وبين الله أي شيء في العبادة ، أو الإستعانة به سبحانه .
ولهذا قال الحق في محكم التزليل : (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ) وقول الحق (إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ) دليل على أن هناك معبودات أخرى ، وحينما قال الله سبحانه مُبَيِّنًا وَظِيفَةً إبليس لعنه الله (لَا تَتَّخِذْ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا) معنى هذا أن كل مسلم مُعَرَّضٌ لِعَوَايَةِ الشَّيْطَانِ وَتَرْيِينِهِ حتى يلقي ربه .
وهذا دليل على أننا مُطَالِبُونَ باستمرار بقول (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) لأن كل مسلم معرض لأن يُزَيِّنَ الشَّيْطَانُ لَهُ مَعْبُودًا آخَرَ ، يدخل بينه وبين خالقة فيحجبه عن ربه ويفسد عليه عمله ، حتى ولو كان المعبود هوى نفسه ، أو من يرائيه الإنسان في عمله لأن المرائي في عمله غايته أن يرضى من رآه .

لهذا قلنا أن المعبودات كثيرة ، وتتخذ ألواناً شتى . ومن هنا جاءت الآية القرآنية محددة الهدف (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) بمعنى أيَّ أحدٍ حتى تكون العبادة خالصة ومتمحضةً لله رب العالمين ،

ليست فيها ذرة رياء حتى يصعد العمل للمولى عز وجل (إليه)
يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه (والعمل الصالح من
الخالص النقي من الرياء .

ولما كان المؤمن معرضاً للشيطان طيلة حياته ليفسد عليه عمله
وسلوكة من أجل هذا قال الرسول عليه الصلاة والسلام (**من**
كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة) •

ثم يخاطب الشيخ رحمه الله إيماننا وديننا وقلبنا فيقول لو سألنا من
أراد الصلاة أين المسجد الذي ستصلي فيه ؟ لقال مثلاً **مسجد**
الشيخ زوين • ومن الذي سيصلي بكم ؟

سيقول : الشيخ • • • تعجبوا يا أخوة لحالنا : المصلي حده
المسجد ، وحدد من يصلي بالمصلين ، ولم يخطر على باله بعد
هذا من الذي سيناجيه ويقف بين يديه ؟

لماذا لم يخطر الله على باله ولو قليلاً ؟ لأن المصلي اشتغل بالصلاة
وهي من فعل الإنسان فهي مخلوقة ، فأشتغل بالمخلوق عن
الخالق ، لأن الصلاة كما قلنا وسنظل نقول إنها وسيله
وليست غاية •

اليوم يعبد النصارى في كنائسهم ، واليهود في معابدهم ،
والمسلمون في مساجدهم . ولكل طائفة معبود . لهذا نحن
المسلمين يجب أن نعبد الله سبحانه على الطريقة التي جاء بها
سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومقتضى عبادته على
هذه الطريقة التي جاء بها سيدنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم أن نفرده وحده بالعبادة بدليل قوله سبحانه في فاتحة
الكتاب (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) معنى ذلك نَخْصُصُكَ وَحَدَّكَ
بالعبادة ، وَنَفَرِدُ ذَاتَكَ الشريفة بها ، وهذا مأخوذ من قوله
سبحانه (إِيَّاكَ) التي تقرر قصر العبادة عليه وحده دون سواه .
ومعلوم أن الثواب والعقاب مداره على قوة الباعث أي صدق
النية والإخلاص فيها .

نحن نشاهد إذا ما ذهب مريض إلى الطبيب ماذا يفعل معه ؟
أنه يلقي بجسده ويسلم نفسه له ، فإذا ما أمره مثلاً : خُذْ
نَفْسَكَ ، أَفْعَلْ كَذَا ، أَفْعَلْ كَذَا : يسرع في تنفيذ أوامره بأسرع
ما يكون وهو راضٍ ، لَأَنَّ الْبَاعِثَ وَالْقَصْدَ حُصُولُ الشفاء
الذي يطلبه المريض ، نحن نقول وسنظل نقول أننا نعطي
الطبيب ثقة . وخضوعاً ، وإمثالاً أكثر مما نعطي الله سبحانه .

هذا مع أن المريض يتعاطي الدواء وهو ممتلئ إحساساً بمرارته .
لكن أمله في الشفاء هو الذي يجعل الدواء عذباً مستساغاً
ومن هنا فالمؤمن يعبد الله مقابل الثواب والعقاب : ولأجل هذا
دعا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحابة لترسيخ
العقيدة . ومكت ١٣ ثلاث عشرة سنة لتدعيمها
وتثبيتها . . . وهو في هذا يدعو إلى التوحيد ، والإيمان بالله
واليوم الآخر ولم ينس الشيخ رحمه الله أن يشير إلى الصراع
الطبيقي . وأن ذلك كان موجوداً أيام الرسول صلى الله عليه
وسلم وسيظل هذا الصراع موجوداً إلى يوم القيامة . ويصور
هذا مجيء كبار مشركي مكة إلى سيدنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وطلبهم منه عليه الصلاة والسلام بأن يفرد لهم
يوماً خاصاً بهم إذا ما دخلوا في الإسلام حتى لا يجلسوا مع
فقراء مكة ويضمهم مجلس واحد . وهنا نزلت الآية القرآنية
"مَنْ دَرَسَ بِسَخْفِ هَذَا الرَّأْيِ وَمَوْضِعُهُ أَنَّ هَذِهِ الْمَقَائِيسَ الْبَشَرِيَّةَ
يَرْفُضُهَا الْإِسْلَامُ . وَإِنَّمَا جَاءَ الْإِسْلَامُ لِيَقِيمَ الْمَسَاوَاةَ بَيْنَهُمْ ."
ونزلت الآية الشريفة : (وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ
بِالْغَدَاوَةِ وَالْعِشْيِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ

**زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا . وَلَا تَطْعَمَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ
هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) .**

انظروا رحمكم الله إلى تلك الآية الكريمة التي أشارت بوضوح
إلى أنهم يعبدون الله ليلاً ونهاراً ولهذا امتدحتهم ،
لصدق الإخلاص ودقته وسلامة القصد بقوله سبحانه (يريدون
وجهه) والحق حينما مدحهم أصبح معلوماً أن هؤلاء هم ورثة
الدين ، وأن غيرهم من وجهاء المشركين ، ليسوا محلاً للعناية ،
كما لا يليق أن يهتم بهم الرسول عليه الصلاة والسلام
لفساد الباعث عندهم وسوء القصد الذي بينته الآية الكريمة
(**تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**) ثم كشفت كفرهم وفجورهم ،
وبعدهم عن طريق الحق . وكانت الكلمات واضحة ومُعَبِّرَةٌ
حيث وصفتهم بغفلة القلب ، واتباع الهوى ومجاوزة الحق -
والله سبحانه يريد ممن عبده أن يخلص له القصد والباعث
(**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ**) جاء
التعبير بقوله سبحانه **" حُنَفَاءَ "** لبيان أن مراحل السلوك
والطريق إلى الله طويل : وهذا يقتضي من السالك أن يكون
يقظاً . فلا يعيل ولا يتعد عن الحق قيد شعره ، وليحذر

الشيطان وهو اجسه ، والنفس وهو اها وهذا مصداقاً لقول الحق : (فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) " يرجو لقاء ربه " يكون في عبادته ممثلاً لكلمة التوحيد لا إله إلا الله ، فليعمل عملاً صالحاً على طريقة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم (وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) الشريك مع الله متمثل في أن تقصد بعبادة الله أن تحقق لنفسك عملاً دنيوياً ، أو أشركت مراآة للناس بُغْيَةً أن يذكروا محاسنك ويشنوا عليك .

ثم جاءت الآية بعد قول الله عز وجل (مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ) تأتي بعد هذا التهيئة الصحيحة القوية الكاملة : (وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ) . وأحب أن أنبه إلى أن أول ما يجب على المؤمن إذا ما أراد أن يتحرك إلى عبادة أن يتحقق الطريق إلى المعبود ، وأن يتأكد من الطريق الذي به تقبل العبادة وأن يحمل نفسه حملاً على الطريق الصحيح ، ويوما ما سينتظم على هذا الطريق ويجد نفسه مشغولاً بالعبادة .

ثم قال رحمه الله أنت ترى ولدك في اليوم عشرين مرة • هل يخطر على بال المسلم أن يشكر الله خَالِقَهُ الذي رزقه هذا الابن ؟ أقل اعتراف بفضل الله إذا ما سُئِلَ من هذا ؟ أن يقول ولدى والحمد لله ، ولا عجب في هذا إذا كان الله لا يخطر على بال المسلم في العبادات الرئيسية في الدين فأني له أن يخطر على باله في الحياة الدنيوية .

ولذلك كان الحديث القدسي الشريف (**مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتَهُ عَلَيْهِ . وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ**) • • • • الحديث .

العبودية سابقة • ونحن نعلم أن علماء اللغة قالوا إن التعبير بقول الله تَقَرَّبَ يدل على زيادة القرب لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى • وأنا أقول بلغتنا السهلة • • إن التقرب إلى الله يفيد البعد عما سواه ولكي يتقرب العبد من ربه فإن هناك عقوبات كثيرة تقابله وتعرضه في الوصول إلى غايته ، لذلك لا بد أن تتولد المشقة نتيجة الصراع بين العبد وربّه • ولا بد أن تظهر هذه العقبات كي لا تحول بينه وبين خالقه وغايته ولذلك صور الحق هذه الصعوبات في كتابه الكريم

فقال وقوله الحق : (فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ)
إشارة إلى تلك الصعوبات الهائلة ، والمشقة الفادحة التي
توضع أمام سالكي الطريق إلى الله .

التقرب إلى الله يفيد البعد عن المعاصي .

فلو قرأ القرآن قارئ ليقال أنه قارئ ، ولو صام المسلم ليقال
أنه صوام ، ولو أكثر من الحج ليعرف بأنه عبد نقي يحج
كل عام .

مثل هؤلاء يقال لهم . فعلتم كذا ليقال عنكم ذلك وقد
قيل . ثم يرمى بهم في النار إذاً فهناك حلقة مفقودة ومن
أجل ذلك بينت الآية الكريمة أثر التأسي بسيدنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ
لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)

المطلوب من المؤمن : هو أن يكون المعبود على الشاشة ، ونعني
بهذا أنه دائما مستحضر عظمة خالقة ، هذا ولا شك أن
من تقرب إلى الله فإنه يفوز برضاه وبعطائه ، وإسباغ نعمه
عليه . ويكون من الذين وصفهم الحق بقوله : (كُنْتُ سَمِعَهُ
الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ) الحديث

ويصبح بهذا رَبَّانِيًّا • ومعنى الرَّبَّانِيَّة : أن تكون تَصَرُّفَاتِهِ كُلِّهَا تَلْقَائِيًّا وفق منهج الله سبحانه وتعالى •

وبعد هذه المرحلة الطويلة السابقة يستطيع المؤمن أن ينكر المنكر لأنه عاش في جو الحق عز وجل .

والفرق بين عوام المؤمنين وخواصهم أن عوام المؤمنين يعيشون في جو الهداية والحضور مع الله لحظات خاطفة من الوقت ثم يعودون أخيراً إلى غفلتهم لأنّها الطبيعة والحياة التي يَجْبُونُهَا •

أما أهل المعرفة والعلم بالله فهم يعيشون دائماً بقلوبهم مع الحق في جو الآخرة وفي عالم الغيب فحياتهم شهود ومراقبة ، ويقظة دائمة ، فلا تغافل ولا تكاسل ولا تخاذل • ولا رياء ولا سمعة ، ولكن حُضُورٌ وَحُبٌّ وَتَفَانٍ في الحق ، وأدبٌ مع بارئ الأكوان •

وما أشبه حضور عوام المؤمنين مع الله ساعة العبادة بقطعة الأستك التي طولها ١٠ عشرة سنتيمتراً تشدها تزيد أضعافاً وعند تركها تعود كما كانت وتنكمش .

وهذه الحال يحضرها المؤمن ، ويعيش عليها في صلاته ، فيكون
تذكرة لربه لحظة من الزمان ثم يعود إلى طبيعته .
أما الصّديقون وأهل المعرفة فقلوبهم دائماً مع الله ، فلا
انقطاع ولا غفلة وهم دائماً يعيشون في عالم الغيب ، أرواحهم
ساجدة تحت العرش وأجسادهم في عالم الشهادة .

أما نحن بعد عرض هذه الحقائق الإيمانية التي حدثنا عنها شيخنا
رضي الله عنه ورحمه ورحم عباده الصادقين ، لا يسعنا إلا أن
نقول صدق الله العظيم حيث صور أهل المعرفة بالله فقال :
(الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى
الْفَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسُئِلَ بِهِ خَيْرًا) فسئل به خيراً كما بينها
العلماء حيث قالوا هم العارفون بالله العلماء به وبصفاته :
لأنهم سلكوا الطريق وأدركوا وعورته فوضّحوها للناس
حتى أصبحت واضحة وضوح الشمس وهم يضعون أمام
أعينهم قول الحق تبارك وتعالى : (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا
إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ) فرحم الله الصديقين ، والصالحين من عباد
الله المقربين ، وجزاهم عنا وعن المسلمين خير الجزاء . ونحن
لا يسعنا إلا أن نطلب من إخواننا الصادقين ، وقراء أهل العلم

الكرام أن نطلب منهم ترديد الدعاء (اللهم عَلِّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا ،
وَأَنْفَعُنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا) •

ولنعد إلى ذلك التوضيح الذي أتى به شيخنا ليبين لنا مدى ما
كان عليه عظماء الصحابة رضي الله عنهم أجمعين من محبة
صادقة ، وإخلاص لله عز وجل وإيثار للآخرة على الدنيا كل
هذا واضح في قصة حارثة حينما سأله سيدنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم بقوله : كيف أصبحت يا حارثة ؟ قال
أصبحت مؤمناً حقاً : فقال له عليه الصلاة والسلام : لكل
شئ علامة • فما علامة إيمانك ؟ قال حارثة : أصبحت وقد
عزفت نفسي عن الدنيا • فأظلمات نهارى • وأسهرت
ليلي • وكأني أرى عرش ربي بارزاً •

هنا استحق شهادة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله
" عبد نور الله قلبه بالإيمان " وفي رواية " عرفت فالزم "
ثم بين الشيخ رضي الله عنه معنى قول حارثة " عزفت نفسي عن
الدنيا " فقال ليس معنى هذا أن تغلق الحوانيت ونعيش عالة على
المجتمع ثم نقول هذا هو الإسلام ومعنى عزفت نفسه عن
الدنيا : أنها لم تعش في قلبه بل نظر إليها بنظرة الله لها في

قوله (اَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا الآية)

ثم أتبع هذا بقوله : نحن لضعف إيماننا لم نستطع أن نقوم بما يجب علينا نحو ديننا . رغم أن المظاهر الإسلامية موجودة فينا ، ولكن الذي ينمى العبادة هو الإخلاص ، وكثرة الذكر ، ولهذا دعا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى كثرة الذكر بقوله عليه أفضل الصلاة والسلام : (كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم)

ولما سئل أحد الصالحين عن معنى قول الله عز وجل : (إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا) قال : أخلص العمل وأصوبه ، أما أخلصه فهو أمر يقصد به وجه الله عز وجل . وأما أصوبه فهو أن يكون على طريقة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وما أشبه الذي لم يتمسك بالإخلاص ، ولم يتبع طريق السنة الشريفة بمن اشترى أربعة نجوم ثم وضعها على كتفه ، ثم

صورت له نفسه أنه أصبح من كبار الضباط وهو ضابط زائف .
ثم قال الشيخ رضي الله عنه (إِذَا وَجَدَ الْإِخْلَاصُ حَصْلَ التَّقَرُّبِ
مِنَ اللَّهِ ، وَإِذَا انْعَدَمَ فَلَا قِيَمَةٌ مُطْلَقًا لِلْعَمَلِ ، وَلَا وَزَنَ لَهُ) .
وإذا وجد الإخلاص وأثمر التقرب إلى الله فيصبح المؤمن ويمسي
ولا يخشي في الله لومة لائم في تغيير المنكر ، وأسقط جميع الناس
من نظره حيث هدفه أن يرضي خالقه .
والمؤمن بهذا يرفع منكر الشرع إلى أعلي الدرجات بالنسبة
لمنكر العرف ثم عاد ليتناول ضعف إيماننا من جديد فقال تقع
زوجة المسلم في المنكر فلا يوجه إليها أدني لوم ، ولو أهملت في
واجبة لأقام الدنيا وأقعدها . ثم أشار إلى نقطة مهمة جداً فقال
أقول وأكرر ما أقول . أن المعرفة ضرورية . وأعني بالمعرفة
معرفة الحق من الباطل . وهذه المعرفة هي التي أشار إليها
القرآن الكريم بقوله : (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)
ولا نقصد بالعلماء علماء الطبيعة أو الجيولوجيا ، أو الفلك
والرياضة والكمبيوتر . أو علماء الفقه والأحكام الشرعية إنما
الأمر أعلي وأعظم .

المراد العلماء بصفات الله وبأسمائه الحسني سلوكاً وعملاً حيث يتخلقون بها ويقفون عندها ومن الممكن أن تشمل الآية العلماء السابقين إذا ما عاشوا في ظل الإيمان ، وكانت حياتهم متصلة بالله في كل أمور حياتهم .

وأضرب المثل وأقول . لا قدر الله زارك المحافظ في بيتك والكل يعلم من هو المحافظ .

ثم قال : أنا لو خيرت بين أن أزور شخصية كبيرة مرموقة أو أزور مومسة لآثرت أن أزور المومسة ، لأني لو زرت شخصية كبيرة لخرجت من عنده منتفخاً فخوراً ، متألّها علي الناس ، لأني حصلت بزيارته علي شرف كبير عند المجتمع الذي نعيش فيه .

لكني لو زرت مومسة لا قدر الله لكشفت غروري : لأن عناية الله لو لم تدركني وتحفظني لوقعت في الزنى ، فأخرج من عندها منكس الرأس ذليلاً خاضعاً ، شاعراً بنعمة ربي لأن قدمي لو زلت لصبّ علي غضبه .

ثم قال و الحمد لله هناك معاصي كثيرة لسنا تائبين منها ، ولكننا لم
نعملها لأنها لم تُيسَّر لنا . فكان من حفظه عز وجل وسستره
أن أبعدنا عن تلك المعاصي والأسباب المؤدية لها .

ولنعلم جميعاً أن كل الصفات التي كانت موجودة في فرعون ،
وهامان ، وقارون هي موجودة فينا . ولكن كما قلت حفظ الله
وستره باعد بيننا وبينها فضلاً منه ورحمه .

ثم عاد إلي المثل الذي ساقه ليتمه بالنسبة للعلم بالله وبأسمائه
فقال عند زيارة المحافظ لك تعلق ولدك بالمحافظ وجلس علي
رجله . وما إن جلس عليها حتي تَبَوَّلَ علي المحافظ . قولوا
بربكم ما شعور والد الطفل عندما شاهد ما فعله ولده ؟ لاشك
أن والده يخشي أن يغمي عليه ، لأنه هو الذي يعرف ويدرك
قيمة المحافظ أما الطفل ولده فلا إدراك له بل جاهل كل الجاهل
بقيمة المحافظ . هذا المثل يوضح الفرق بين العارفين بالله
العالمين بصفاته وقدره حينما تقع منهم معصية : لأن يَنُذِرَكَ
الْجَبَلَ وَتَزْهَقَ الرُّوحُ أَهْوَنُ عندهم ، لأنهم ينظرون في حَقِّ
مَنْ ارْتَكَبَتْ تلك المعصية ؟ أما الجاهل فلا يدرك ولا يَقْدِرُ .
وهذا هو ما صَوَّرَهُ حديث سيدنا رسول الله صلى الله عليه

وسلم حينما شبه الجاهل الغافل عندما يقع في معصية يتصورها كالذبابة التي وقعت علي أنفه فهو لا يبالي بها . وساعة شعوره بها يَهْشُّها باستخفاف : أما المؤمن فعلى عكس هذا يري ذنبه كأنه جبل يوشك أن يسقط عليه . لماذا يشعر المؤمن الحق ، و العارف بالله هذا الشعور ، لأن ذات الله مقدسة ، وعظمة الله لا تعلوها عظمة ، و كبرياء الحق لا يعلوه كبرياء ، سبحانه عز وجل تَرَّه عن كل نقص ، وتعالى عن كل شريك . ونحن إلي الآن لا نعرف الله عز وجل بصفاته كما يجب أن يعلمها العبد المؤمن .

من أجل هذا فنسبة الخوف ضعيفة عندنا . ونحن لم نعرفه سبحانه لأننا لم نتقرب إليه ، ولأن العلة موجودة في أعمالنا .

ومما ابتلي به المسلمون أنهم يهملون الفرائض ، ويهتمون بالنوافل لأن النوافل حظ النفس ، و المسلم بالفرض مطلوب وهذا يدل علي شرف الفرض ، لكنه بالنفل طالب ولقد أشار الشيخ إلي شيء جميل جداً فقال : هناك نوافل متصلة ومعني أنها متصلة أي أنها متصلة بالفرائض . ولكي نوضح هذا . لو أراد المصلي أن يصلي ثماني ركعات ثقلاً من الممكن أن يجعل

أربعاً منها متصلة بصلاة الظهر مثلاً بحيث يطيل الركوع
والسجود في أداء الفريضة لِيَتَّقَنَ بذلك الفريضة لأنه جمع النقل
وضمه إليها فأطال القراءة ، الركوع ، السجود حتي يكون
الاطمئنان ، ويزاد بذلك الخشوع •
وهذه صورة النقل المتصل • أما المنفصل فمعروف لدي
الجميع •
والحمد لله بداية ونهاية ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي
العظيم ،،،

في ١٣ جمادي الأولي ١٤٢٥ هجرية
٣٠ يونيو ٢٠٠٤ ميلادية